

## الفصل الخامس

### في مملكة جلالة الامبراطور البطريق!!

- طيور البطريق.. حَيَّينا بالنهيق!!
- كائنات عجيبة.. تنهادى كالنساء وتغوص كالأسماك!!
- البطريق ينتهك المسافة المقدسة بيننا وبينه.
- الأنثى تبيض.. والذكر يحتضن البيضة!!
- ملوك وأباطرة في بلاد البطريق!
- الإمبراطور ينشد أغان غزلية!!



## الطريق إلى البطريق

تتهادى سفينتنا في إبحارها وهي في طريقها إلى قمة شبه جزيرة أنتاركتيكا حيث تقع جزيرة جونفيل شقيقة جزيرة دندي، وقد توخت الحذر كل الحذر من تلك الجبال العائمة.. المصورون المحترفون يتقافزون بمصوراتهم العجيبة فقد لمحوا الكثير من طيور البطريق وهي تمارس هواية التزلق على جبل جليدي عائم قد مال سطحه العلوي نحو أحد جانبيه مشكلاً ساحة مثالية للتزلق، وطيور البطريق ما أن تسقط إلى البحر، حتى تعود مرة أخرى لإجراء مسابقة جديدة في التزلق في منظر يدعو للضحك ويبعث على البسمة، بل إنها كثيراً ما تتشاجر فيما بينها أو هكذا يبدو لنا من بعيد، فربما قام أحد المتسابقين بممارسة "العش" في السباق! أو أنه دفع أحد منافسيه أو أنه تصرف بعيداً عن الروح الرياضية!! بل إن منظرها وهي في لهوها ذلك، كأنها أطفال لم تتعود على قواعد اللعب بعدا.. ويعلوصا خها وكأنه نهيق الحمير لا صياح الطيور.

المصورون المحترفون يتدافعون بالمناكب، وبعدهات مصوراتهم الطويلة لتسجيل المشهد.. من بينهم سيدة ضخمة الجثة كان لي معها موقف عند التحاقى بالسفينة قبل بداية الرحلة..

كنت أول راكب يصل السفينة في مدينة "أشوية" قبل الركاب جميعاً. طلب مني مسئول الركاب بالسفينة الإنتظار حتى يصل بقية الركاب ويتم توزيعهم على القمرات أو العُرف بالمصطلح العام.. وصل جميع الركاب وتم توزيعهم على الكبائن قال لي المسئول سوف أحاول جهدي كي تكون بمفردك في كبينة واحدة أو على الأقل مع شخص آخر بدلاً من أربعة أشخاص هي الطاقة الإستيعابية الكاملة للقمرة أو الغرفة. وأيضاً سأخذ في الإعتبار ألا تكون مع سيدة في غرفة واحدة بناءً على رغبتك..

حدد لي المسئول رقم الغرفة المخصصة لي وكانت ضمن غرف الدرجة الثالثة والأخيرة في السفينة وهو مكاني المفضل طبقاً لإمكانياتي المادية المتواضعة.. حملت حقائبي الثقيلة واتجهت إلى غرفتي.. وجدت فيها شخصاً ضخم الجثة يرتدي ملابس ثقيلة نتيجة للبرودة الشديدة خارج السفينة ومعه العديد من أجهزة التصوير المعقدة.. ألقىت التحية، إلا أن الرد حملته صوت خفيض ناعم! تمنعت في الواقف أمامي فوجدت أن له شعراً طويلاً مسدلاً على كتفيه وملامح أنثوية!.. تأكد لي تماماً أن الشخص الواقف أمامي سيدة خاصة بعد أن قدمت لي نفسها وصافحتني مرحبة بي ومن ثم سألتني هل تقيم هنا في هذا الغرفة؟ فقلت نعم، قالت: أي السريرين تفضل العلوي أم السفلي، ذلك أن الغرفة تحتوي على أربعة أسرة سريرين على كل جانب يعلوهما سريران آخران وهو أمر مألوف في السفن وذلك للاستفادة القصوى من الحجم والمساحة، والغرفة بالكاد تتسع لسريرين فكيف بأربعة! قلت لها: وما شأنك أنت إن كنت أفضل السرير العلوي أم السفلي؟ قالت لأنني سوف أشارك الغرفة ومعني زميل آخر!! أنت؟! ياللكارثة!.

كنت متأكداً تماماً من رقم الغرفة، وأنها هي التي تخصني، إلا أنني قلت لها: يبدو أنني أخطأت المكان، ولا أظن أن هذه هي الغرفة التي خُصِّصت لي، على كل حال سوف أتأكد. غادرت مسرعاً إلى المسئول الإداري، وجدته يحمل بين يديه رزمة من الأوراق ويبحث عن بعض الركاب ليدلهم على غرفهم.. سحبتة على جنب وقلت له: لقد قضيت اليوم بأسره وأنا أحدثك عن عاداتنا وتقاليدينا ووعدتني أنت بأن تتوصى بي خيراً. وأخيراً تبعث لي بسيدة مفتولة العضلات ضخمة الجسم لتقيم معي في غرفة واحدة! قاتلك الله أو لم تجد غير هذه "المُصَفَّحة" لتقيمها عليّ حارساً ورفيقاً! (وكان حديثي معه يدور حول تدخل قوات

الأمم المتحدة والقوات الأمريكية على وجه الخصوص في المناطق المضطربة من العالم وحماية الإمدادات الإنسانية وذلك قبل وصول الركاب).

فغر الرجل فاه دهشة وقال متعجباً: سيدة؟! قبها الله وقد حسبته رجلاً فوراً سوف أنقلك إلى غرفة أخرى.

حمدت الله الذي أنقذني من ذلك الموقف المرحج.. فقد نقلني الرجل إلى غرفة أخرى كان يتقاسمها اثنان من كندا، زميلان يعملان في شركة واحدة ومن هواة الرحلات في المناطق الباردة وتسلق الجبال.. أحدهما تدل تقاطيع وجهه على أنه من شبه القارة الهندية، وعندما تحدث تأكدت من ذلك.. اللكنة مثل البصمة لا تزول أبداً.. يقول إنه هاجر من الهند إلى كندا مع والديه منذ كان صغيراً.. الشيء المميز فيه أنه لا يهز رأسه أبداً عند الحديث.. هذه بصمة أخرى خاصة بسكان الهند ولكنها تلاشت عنده ربما بفعل الزمن.. أو لأنه يعرف أنها تثير الإبتسام.. وربما شيء آخر أكثر من الإبتسام.. أذكر أنني استعملت طريقة هز الرأس مرة في إحدى الدول النائية مدعياً أنني من الهند حتى لا أكون موضع اهتمام أحد هناك ظناً منهم أنني ثري ويحصل ما لا يحمد عقباه، ذلك أن العربي عندهم "بنك" متحرك، أما الهندي فإنه يدعوا للشفقة! المهم أنني شاهدت القوم يسخرن من طريقي في هز الرأس ويقلدونها خلسة بعيداً عن ناظريّ مع أنني لاحظت ذلك دون علم منهم!

يلحق زميلنا الهندي الأصل على مواعيد الإستيقاظ المبكر والدريس والمحاضرات بتعليقات طريفة يشاركه فيها صديقه الكندي.. يقول في إحداها: إن هذه ليست بإجازة يقضيها المرء للإستجمام والإسترخاء، بل إنها أشبه ما تكون بعقوبة نقضها في معسكر عمل أو أنها فترة الخدمة العسكرية الالزمية!.. وهو صادق فيما يقول.

لقد ذكرتني الحياة على السفينة الكندية، بفترة الدراسة والتدريب التي قضيتها في الأكاديمية العربية للنقل البحري بالاسكندرية من حيث الإنضباط والإستيقاظ المبكر والعمل المتواصل وتحمل المشاق.

## طيور البطريق.. تحيينها بالنهيق!!

تقترب سفيتتنا من جزيرة "جونفيل"، نشاهد عليها بقع سوداء كثيرة جداً.. إنها دائمة الحركة.. متنقلة من مكان إلى آخر! وكلما اقتربت السفينة من الجزيرة، وضحت معالم تلك البقع، إنها طيور البطريق تظهر واضحة جليّة، وهي من الكثرة بحيث تغطي الجزيرة كلها.. يعلو صراخها كلما اقتربت السفينة منها.. إنه أشبه بالنهيق! هل هو ترحيب أم تهديد؟ هل تعتبر البطاريق وصولنا هوزيارة أصدقاء أم غزء أعداء؟.. لم يتبين لنا بعد بوضوح كنه هذا الصراخ الذي يصم الأذان

أخيراً قرر الربان أن يتوقف بالقرب من الجزيرة.. ولكن من غير أن يُلقي المرساة.. لم أسأله لماذا ولكنني قدرت أن الأمر يعود ربما لطبيعة القاع الصخرية والتي قد تحتجز المرساة وتسبب متاعباً لا داعي لها..

أنزل البحارة القوارب المطاطية، وأخذت المجموعات أماكنها.. كل مجموعة بميقات محدد.. ثم انطلقنا إلى الجزيرة. أصوات البطاريق تزداد صخباً وضجيجاً لقد تبين لي بوضوح بعد أن وطأت قدمي أرض الجزيرة الصخرية، أن تلك الأصوات التي كنت أسمعها هي خليط ما بين أصوات طيور البغيعاء ونهيق الحمير إنها أصوات مزعجة ومُنقّرة، بل إنها إحدى الأصوات المُنكّرة وإن لم تكن بنكرةً أصوات الحمير التي حازت على المرتبة الأولى منذ بدء حياة الحيوان على كوكب الأرض!

يُقدّر عدد البطاريق في هذه الجزيرة بحوالي ٢٠٠ ألف بطريق! لا أعرف كيف حسبوها أو قدرتها لكن هذا ما سمعت.. ومعظم هذه البطاريق هنا من نوع أديلي "Adelie"، وعموماً فإن عدد أنواع البطاريق في العالم بأسره هو ١٨ نوع، منها سبعة أنواع تعيش في قارة أنتاركتيكا وسوف نأتي على ذكرها جميعاً في هذا الفصل

يُطلق على البطريق اسم "بنغوينغو" وهي كلمة تحرفت فيما بعد إلى "Penguin" أو بنغوين كما يُعرف عالمياً، وأصل الكلمة يعني كثير الشحم أو السمين وهو اسم على مسمى فعلاً، إذ تتميز طيور البطريق بكثرة الشحم الذي يقيها شدة البرد، كما أن الطائر منها عندما يمشي يبدو كالرجل السمين الذي يتمايل في مشيته ذات اليمين وذات الشمال!

طيور البطريق واحدة من أقدم الكائنات التي لازلت تعيش حتى اليوم، ويعود تاريخ وجودها إلى الحقب الثالث وهو الحقب الذي تكونت فيه سلاسل الجبال الكبرى على سطح الأرض، كالألب والهimalايا والأنديز وهو الحقب الذي يسبق عصرنا هذا الذي نعيش فيه. ويقدر العلماء وجود البطريق منذ ٦٠ مليون سنة، إذ كانت تعيش في القارة عندما كانت خضراء.. ثم مع مرور السنين تكيفت أجسامها لكي تعيش في هذه الأجواء القاسية وذلك أثناء رحلة أنتاركتيكا نحو الجنوب بعد انفصالها عن شقيقاتها السابقات!

ولقد دلت الحفريات والدراسات التي أجريت في منطقة "بالمر" من شبه جزيرة أنتاركتيكا، أي التي نحن فيها الآن، على وجود خمسة أنواع من طيور البطريق كانت تعيش في فترة ما قبل التاريخ!

على كل حال قد لا يعيننا أن نتتبع أصولها العريقة، وإلى ماذا كانت تنتمي فيكفيها فخراً أنها أكثر عراقة من الإنسان الذي يسخر منها الآن!!، بل إنها ملكت الأرض قبله! إلا أن شكلها الغريب هذا وندرة وجودها في مناطق أخرى من العالم يدعوننا إلى مثل ذلك التساؤل وهو: لماذا تعيش هذه الطيور بكثرة هنا في قاع العالم ولا تعيش في شماله مثلاً؟ طالما أنها تأقلمت على شدة البرودة إلى درجة أنها قد هربت من جزيرة الخداع التي زناها سابقاً عندما (ارتفعت) درجة الحرارة إلى (- ٥)، أو خمس درجات تحت الصفر؟

الجواب أن هذه الطيور وهي في طور تأقلمها على قسوة البرد وتكيف أجسامها عليه فقدت عنصراً هاماً من عناصر البقاء وهو قدرتها على الطيران، فهي من الطيور التي لا تطير، ولأن المنطقة القطبية الشمالية تسكنها الدببة والثعالب وغيرها من الوحوش البرية

وطيور البطريق على البر لا حول لها ولا قوة، إذا لو عاشت في الشمال فسيأتي عليها يوم تنقرض فيه. أما هنا في مملكتها الشاسعة المترامية الأطراف، لا يعيش حيوان بري واحد قط، بخلاف تلك الحشرات الحقيرة التي ذكرناها.

تفرق رفاق الرحلة في الجزيرة، وهي جزيرة بركانية يتكون شاطئها من عدد لا حصر له من الحمى البركاني الصلد مختلف ألوانه وأشكاله، وإن كان اللون الغالب هو الأسود والرمادي الذي تتخلله خيوط خضراء وبنية وصفراء.

أقبلت علينا البطاريق مرحبة بنهيق يصم الأذان، وأخذت تحيط بنا من كل جانب إن عددها مهول إلى درجة أننا لا نستطيع الحركة أو التنقل.. المشكلة الآن كيف نحفظ تلك المسافة (المقدسة) بيننا وبينها؟! لا مجال إطلاقاً للخمسة أمتار المسموحة لنا، بل إنها هي التي تنتهك تلك المسافة! كيف لا وقد ضاقت عليها مساحة الجزيرة حتى بدت متلاصقة في وقتها تلك!

أخذت أمشي على حذركي لا أطأ أعشاشها إلى أن وصلت إلى ربوة عالية نصبت عليها علم قطر الذي أصبح يحظى بشعبية الآن، بدليل رغبة الكثير من ركاب السفينة لالتقاط صور معه. ولعله الآن قصة تُروى في كتب وأبحاث العلماء الذين رافقتهم، أو صور تذكارية تباع في أمريكا وكندا. فقد نال إعجاب المصورين المحترفين فأخذوا يلتقطون له العديد من الصور

هناك الكثير من الرئي الشامخات، ولكن كيف السبيل إلى قممها وقد إكتظت بالبطاريق وهي تنهق نهيق الحمير؟. كما أنه لا يحق لنا أن نقحم عليها أعشاشها فإن تجولنا داخل الجزيرة كفيل بتحطيم بيضها وصغارها. إذن ليس لنا إلا الشاطئ.

## البطريق كائن اجتماعي جدا!

وضعت العلم ليس ببعيد عن الشاطئ، وتنحيت عنه أرقب فعل البطاريق حياله، دنت منه مجموعة منهم وأخذت تتأمله.. كان بقربي أحد الباحثين المتخصصين في حياة طيور البحر ومنها بالطبع البطريق.. حدثني قائلاً: (راقب جيداً ردة الفعل عند البطاريق، إنها ستدنو من العلم وسوف تتأمله في محاولة منها لمعرفة عن كذب، ولديها حب استطلاع بشكل عجيب يصل إلى درجة الفضولية الشديدة. "Very inquisitive".

حدث تماماً ما توقعه الرجل، أخذت "مجموعة مراقبة العلم" تدور حوله وهي تنظر إليه من أعلى إلى أسفل، وكأنها تحادثه، وعندما لم تجد منه جواباً، غادرت إلى حال سبيلها، ثم أخذت تدنو منا نحن معشر البشر، ولو كنا نحمل معناً شيئاً من الطعام، لأصبح الصراع بينها شديداً للحصول عليه، ولكن هذا أيضاً من المحرمات لأن الهدف هو عدم تدخل الإنسان بتاتاً في تغيير أي شيء في تلك القارة سواء كان في طبيعتها، أو حتى في تغيير سلوك الحيوان فيها!.

ولأن طيور البطريق تختلف اختلافاً كبيراً عن سائر الطيور في عاداتها وسلوكها فقد شك المكتشفون الأوائل عندما رأوها لأول مرة، بأنها طيور حقيقية! ولقد وصف أولئك المكتشفون طيور البطريق - بعد عودتهم إلى ديارهم - بقولهم "لقد وجدنا هناك في نهاية العالم مخلوقات عجيبة، تنهادى في سيرها كالنساء وتغوص كالأسماك!" وبالطبع لم يصدقهم أحد.

لا تُعتبر طيور البطريق من الحيوانات الذكية، إلا أنها من السهل جداً استئناسها ولقد رأيت فيما بعد عند زيارتنا للقاعدة الأرجنتينية والقاعدة البولندية، العديد من طيور البطريق تتجول في القاعدة كأنها من المقيمين فيها ولأنها لا تخشى شيئاً بحكم وجودها في تلك المنطقة البعيدة عن الوحوش الضواري فإنها لا تخشى الإنسان، بل إنها تعتبره نوعاً

آخر من البطاريق العملاقة! وإن كان يختلف عنها بوجود الذراعين بدل الجناحين اللذين يستخدمهما البطريق في السباحة كمجاديف وفي العوم كزعانف.

ورغم أنها أليفة جداً، إلا أنها قد تصبح عدوانية إذا ما داهم الإنسان مناطق تكاثرها أو أعشاشها. وعلى ذكر أعشاشها، فإننا نستخدم هذه الكلمة مجازاً لأن عش البطريق عبارة عن حفر من الأرض تحيط بها مجموعة من الأحجار لحماية البيضة أو الصغير من العوامل الجوية والطيور الأخرى، كطائر الكركر المغرم بصغار البطريق عدوها اللدود.

هدأ الضجيج بعد وصولنا قليلاً. العلماء والمصورون وجدوا ضالتهم في العدد الهائل من هذه الطيور، تفرقوا هنا وهناك لدراسة سلوكها ومراقبتها وتصويرها أخذت أراقبها من باب الفضول ليس إلا. رأيت أحدها توجه ناحية البحر ثم تلفت بينة ويسرة. ثم أخذ ينظر خلفه ويصيح بأعلى صوته.. تجمع خلفه طابور طويل بلغ عدد أفرادهِ ٣٠ تقريباً!

لعله أحد زعمائهم أو قادتهم!. ثم بدا لي أنه أصدر إليهم أمراً وقفز إلى البحر وتبعه ذلك الصف الطويل واحداً وراء الآخر بانتظام قلما يتوفر ربما عند جنود دول العالم الثالث! غاب فريق الغطس أو (الضفادع البطريقية!) قرابة نصف ساعة، إنهم هناك في البحر يتقافزون.. طائر آخر لعله ضمن الفريق إلا أنه وصل متأخراً عنهم، لقد غابوا عن ناظريه.. أخذ يصيح لعله يناديهم ثم أخذ يتنصت كأنه يترقب صوتاً منهم رداً على نداءه!... لا فائدة لقد سبقه فريق الغطس وهم الآن مشغولون بصيد صغار السمك والحبار (الخثاق) والكريل، ولا وقت لديهم للرد على هذا الكسول الذي جاء متأخراً! تجمع حوله عدد آخر ويهم الجميع وجوههم (ومناقيرهم) شطر البحر يترقبون عودة الفريق.. لا أعرف هل المترقبون لعودة الفريق على الشاطئ من الإناث غاب عنهن أنواجهن؟!، ذلك لأنني لا أستطيع تمييز

الأنتى من الذكر منهم، وكيف لي بذلك وأنا الذي بالكاد استطعت تمييز تلك (الأنتى) في غرفة السفينة بعد نقاش طويل!

لا يساعدي قفاز اليد الجلدي الذي ارتديته في تصوير مشاهد "المسرحية" التي أراها أمامي بدقة، فأخلعه حتى أستطيع التحكم بالصورة (كاميرا الفيديو) خاصة وأن فرائصي ترتعد من شدة البرد. إلا أن الحالة ازدادت سوءاً بتجمد يداي وتحول لونهما إلى اللون الأزرق الداكن بفعل البرد الشديد وأي برء؟! إن برءة الثلجة أقل وطأً وأخف ضرراً!

أصبحت كالصحفي المحترف، أحمل معي ثلاثة "كاميرات"، واحدة منهن للفيديو ومسجل حتى أستطيع تسجيل ملاحظات العلماء والباحثين، ودفتر صغير أدون فيه ملاحظاتي وأنطباعاتي التي أستمد منها مادة هذا الكتاب الذي بين يديكم.. قطعاً لا يمكن أن تكون هذه إجازة سنوية يقضيها موظف بعيداً عن زحمة العمل في الراحة والاسترخاء إنها مهمة أخرى لعمل أشق وأقسى. رفاق الرحلة لا يصدقون أنني في إجازة، يقولون إن العمل الذي تقوم به الآن هو مهمة أنت مكلف بها!

لم أعد أحس بكفي من شدة البرد لبست القفاز مرة أخرى، وليكن من أمر الصور ما يكون، بل إن الوضع إزداد سوءاً بتجمد قدمي رغم الجوارب الصوفية والقطنية ها قد عاد فريق الغطس، خرجوا من الماء صفاً واحداً وراء قائدهم، أخذوا ينفضون الماء عن ريشهم المبلل.. سبحان الله الذي وهب القدرة لهذه الكائنات الضعيفة على تحمل البرد الشديد.. ها أنا رغم الملابس الثقيلة التي أتدثر بها أرتعد من البرد، بل إنني شعرت فعلاً بقشعريرة تسري في أوصالي عندما شاهدت البطاريق وهي تغطس في الماء، ثم عندما عادت وأخذت تنفض الماء عن ريشها.. كأنني أنا الذي غطست في تلك الثلجة الطبيعية شديدة البرءة!

## البطريق أديلي..

البطريق طائر بطيء المشيء على الأرض، ذلك لأنه لا يوجد له أعداء على البر إلا أنه من أسرع الكائنات حركة في البحر. يغوص إلى أعماق كبيرة وبسرعة فائقة قد تصل إلى ٣٢ كم في الساعة، وله قدرة كبيرة أيضاً على المناورة قد لا تتوفر للكائنات البحرية. ذلك لأنه عندما يرتاد البحر فإنه يواجه أعداء في غاية الخطورة قد تلتهمه في قضة واحدة! منها أسماك القرش والحيتان القاتلة وعجول البحر من فصيلة النمر. مع أنه يصادق أنواعاً أخرى من عجول البحر ويعيش معها خلاف عدوه النمر.

... وعموماً قد يصل عمر البطريق إلى ٣٥ عاماً!. ومازنت أتساءل: هل المناطق الباردة

تطيل عمر الكائنات أكثر من المناطق الحارة!؟.

النوع المنتشر في هذه الجزيرة هو بطريق "أديلي"، وهو أحد الأنواع السبعة التي تعيش في القارة، يبلغ متوسط وزنه حوالي ٥ كغ، وطوله ٧٠ سم. يعيش ويتكاثر في سواحل القارة والجزر التابعة لها.. يعتبره العلماء "مُهْرَج" القارة! لأنه أكثر الأنواع حباً للهِو والمزح والمرح!.. يستطيع أن يغوص في الماء حتى ١٢ قدم، ويقفز إلى سطح الجليد على ارتفاع خمسة أقدام بواسطة قدميه. وكما هو بارع في الغطس، بارع كذلك في التزحلق على الجليد.. إما تسلية أو مسابقة مع آخرين! ويستطيع التحكم بسرعته واتجاهه بواسطة جناحيه وهو منزق على بطنه.

في شهر أكتوبر يبدأ "أديلي" أو عدّولي كما أطلقت عليه أنا على سبيل التذليل والمداعبة نظراً لشقاوته، يبدأ هجرة نحو الجنوب طولها حوالي ٨٠ كم وهي مسافة جداً طويلة لطائر يمشي على قدميه بسرعة بطيئة، حيث موسم التكاثر يبدأ الذكر أولاً، ثم عندما يصل إلى المكان المقصود، يحجز مكانا للعش، تصل بعده بعدة أيام الأنثى حيث تبدأ

الملاطفة والتودد والغزل ثم يقوم الذكر بجمع حجارة العش حيث يضعها تحت قدمي أنثاه بعد أن ينحني أمامها عدة مرات!. وهو بهذا العمل يتودد ويتقرب إليها لأن موسم التكاثر قد دنى واقترب..

ويُذكرني هذا العمل بأغنية من الخليج العربي يقول مطربها "حصية على حصية ونبني البيت يا بنية!" وحصية هنا تصير حصاه.. هناك علاقة مدهشة بين عش البطريق أدليي وبيت المطرب الذي ينوي بناءه بواسطة جمع الأحجار!!، إلا أن أدليي قطعاً أكثر رومانسية من مطربنا هذا لأنه يضع أحجاره تحت قدمي أنثاه وينحني أمامها عدة مرات تودداً وملاطفة واحترماً!!.

يستغرق العمل في بناء العش الحجري عدة أيام، ثم تضع الأنثى بعد (الزواج والسكن في العش!) بيضتين في شهر نوفمبر.. وبعد أن تضع الأنثى بيضتيها الاثنتين تغادر إلى البحر حيث تلتقط الكريل وتزدرده في بطنها.. ويكون الذكر في تلك الفترة التي تستغرق من ٧ - ١٠ أيام راقداً على البيضتين!

بعد عودة الأنثى، يغادر الذكر لتناول طعامه من البحر تماماً كما فعلت الأنثى ثم يعود.. وهكذا حيث تستمر فترة الحضانة حوالي ٣٥ يوم، قد بعد أن تقفس البيضتان يتناول الأبوان رعاية الصغيرين لفترة تتراوح ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، بحيث يبقى أحدهما عند الصغار ويذهب الآخر إلى البحر لتناول الكريل وعندما يعود يفرغ ما في جوفه من غذاء شبه مهضوم في جوف صغيره.. ولقد شاهدت هذه العملية أي عملية تغذية الصغير وقمت بتصويرها.

ثم في شهر فبراير عندما ينبت الريش على الصغير "ويقابله البلوغ عند الإنسان" يغادر إلى البحر وحيداً كي يتعلم العوم والإعتماد على النفس.. ثم يغادر الأبوان بعد ذلك بشهر تقريباً. ويبقى الصغار مدة سنتين في البحر أو على الجليد الطافي.

من الإحصائيات الطريفة التي قرأتها عن بطريق أديلي هي أن خمسة ملايين منها تعيش في جزيرة أوركنيز الجنوبية. "South Orkneys" وتقع شمال شرق أنتاركتيكا ويحتاج هذا العدد الهائل من بطاريق أديلي إل ٩ آلاف طن من الكريل وسمك لارفال في اليوم الواحد لتغذية صغارها في موسم التكاثر!! وهذا يعني ساعة حوالي سبعين سفينة صيد!! إنها كمية هائلة حقاً تلك التي يلتهمها البطريق المشاغب.

ومن غرائب البطريق التي تم رصدها عن قرب بواسطة العلماء، استخدامه حركة الشمس في السماء للإستدلال على عشه أثناء رحلته الطويلة للبحث عن الطعام!، ولقد افترض العلماء وجود "ساعة حيوية أو بيولوجية" لديه تُعينه على استخدام حركة الشمس في السماء في "الملاحة" ومعرفة الاتجاهات والمواقع

كما قدّر العلماء أيضاً ارتفاع العش عن سطح البحر بحوالي ٣١٥ متراً، وهو الذي تتسلقه البطاريق خاصة الصغار منها. وهذا الارتفاع يعادل عمارة من مائة طابق تقريباً!!.

## أنواع أخرى من البطريق..

نوع آخر يسمى "أبو ذقن" *"Chinstrap"*، سُميَّ بهذا الاسم لوجود خط أسود يطوق رقبتَه، فكأنه مطوق بطوق، لذا سمي المطوق بذقن. يبلغ معدل وزنه حوالي ٤,٥ كغ، ومعدل طولُه حوالي ٦٨ سم. يعيش في الغالب في الجزر القريبة من أنتاركتيكا شمالاً وشبه جزيرة أنتاركتيكا. ويُقدَّر عدد هذا النوع بحوالي عشرة ملايين. وهو ذو طبيعة عدوانية، كما أنه دائم الصراخ بصورة مزعجة. يتسلل إلى أعشاش أدليي للاستيلاء عليها. تضع أنثاه بيضتين، حيث تتناوب حضانتها مع الذكر تماماً كما يفعل أدليي.

بطريق جنتو *"Gentoo"* من نفس الفصيلة السابقة، وهو على نوعين: جنتو الجنوبي ويبلغ متوسط وزنه حوالي ٥,٥ كغ، وطولُه حوالي ٧١ سم. وجنتو الشمالي ويبلغ متوسط وزنه حوالي ٦,٢ كغ وطولُه حوالي ٨١ سم. ويُقدَّر عدد هذا النوع بحوالي ٣٥٠ ألف طائر تضع أنثاه بيضتين بحجم كرة التنس، ويتناوب الذكر والأنثى على احتضانها لمدة ٣٥ يوم تقريباً حيث تقفس البيضة، ثم يتناوب الذكر والأنثى على إطعام الصغار وحمايتها من طائر الكركر البني ألد أعداء صغار البطريق. ويُعتبر بطريق جنتو من أسرع أنواع البطاريق في الغطس والسباحة وبماكانه أن يغطس حتى عمق مائة متر تحت الماء!

بطريق المكرونة *"Macaroni"* سُميَّ بهذا الاسم لوجود عُرف فوق رأسه يشبه عيدان المكرونة الطويلة وهي صفراء اللون أيضاً. يبلغ معدل وزنه حوالي ٤,٢ كغ وطولُه حوالي ٧٠ سم. يعيش في الجزر القريبة من أنتاركتيكا خاصة جورجيا الجنوبية. يعد بالملايين، يقضي فصل الشتاء في البحر، ثم يعود إلى مناطق تكاثره حيث يقوم بإعداد العش الصخري. تضع الأنثى بيضتين، الأولى أصغر من الثانية بمقدار النصف تقريباً. ونادراً ما تفرخ البيضة الأولى. بعد حوالي ٣٧ يوم يفقس البيض حيث يقوم الذكر باحتضان الصغير وحمايته من

الكركوغيره لمدة ثلاثة أسابيع، بينما تقوم الأم في تلك الفترة بجمع الكريل في معدتها لتغذي به صغيرها بعد ذلك. ثم يغادر الصغير العش في شهر مارس.

بطريق روك هوبر "Rockhopper"، يبلغ معدل وزنه حوالي ٢.٥ كغ وطوله ٥٥ سم وبذا يعتبر أصغر أنواع بطاريق أنتاركتيكا. يعيش بصحبه بطريق المكرنة ولذا فهو يشبهه في صفاته، بل حتى في العُرف الذي يعلوا رأسه. تضع الأنثى بيضتين كسائر أنواع البطاريق الأخرى، ولكن بأحجام مختلفة، وعادة ما تفقس بيضة واحدة من الإثنتين وعندما يبلغ الفرخ سبعين يوماً من عمره، يغادر العش لبدأ مسيرة حياته كسائر طيور البطريق الصغيرة. وهذا النوع من البطاريق هو أكثرها عدوانية، ولا يعرف المداعبة كما يفعل معنا بطريق أديلي الذي نحن في ضيافته الآن.

البطريق الملك "King"، وهو من فصيلة أخرى بخلاف ما سبق ذكره، يبلغ متوسط وزن البطريق الملك حوالي ١٥ كغ، وهو بذا من الأحجام الكبيرة، ومعدل طولهُ ٩٥ سم. يعيش على أرض القارة نفسها والجزر التابعة لها. كما أنه يتخذ مناطق واسعة لتكاثره، تكون عادة قريبة من الشواطئ، وهي غالباً ما تكون مشغولة إما بالأبناء أو الأبناء على مدار العام بعكس أعشاش البطاريق الأخرى. ويُقدَّر عددها بحوالي مليوني ملك!. يضع البطريق الملك بيضة واحدة، يحتضنها فوق قدمه ويغطيها بثنية من ريشه أو جلده بحيث يبعث فيها الدفء من حرارة جسمه. وتضع الأنثى بيضتها في شهر نوفمبر ويتناوب على حضانتها الأبوان لمدة ١٥ يوم حتى تفقس في منتصف شهر يناير تقريباً. ثم كما هو متبع عند سائر البطاريق، يغادر أحد الأبوان للحصول على الغذاء من البحر، وبعد مئات من عمليات الغوص والغطس تحت الماء، قد تصل إلى عمق ٢٥٠ متر تقريباً، يعود ليغذي صغيره. وبحلول شهر إبريل يكون الفرخ قد إكتمل نموه تقريباً. وفي ديسمبر يكون قد نبت له الريش وأخذ يرتاد البحر للحصول على الغذاء كالكبار.

## في حضرة الإمبراطور البطريق!!

بطريق الإمبراطور "Emperor"، أكبر أنواع طيور البطريق على الإطلاق. يبلغ وزنه وهو في كامل نموه حوالي ٣٠ كغ، وطوله ١٥٠ سم تقريباً. يشكل مع البطريق الملك فصيلة واحدة من فصائل البطريق. ويتميز هذان النوعان بالرنانة والوقار بعكس باقي البطاريق الأخرى المشاغبة كما رأينا من سلوكها. وهذان النوعان من بطاريق أنتاركتيكا، كل المعلومات التي توفرت عنها تم جمعها خلال الثلاثين سنة الماضية، رغم أن أول تقرير كُتب عنها، كان أثناء بعثة سكوت الأولى في أكتوبر سنة ١٩٠٢. وآخر مرئى أكتشف لها كان في سنة ١٩٨٦م.

يبدأ موسم التكاثر عند الإمبراطور عندما ينهتى الآخرون (الرعية!) في شهري أبريل ومايو، أي عند بداية فصل الشتاء الجنوبي، عندما تبدأ كتل الجليد الضخمة في التكون والتماسك، بحيث تستطيع حمل تلك الأوزن الثقيلة. ولقد رصد أحد علماء البعثة الفرنسية بداية تجمع بطاريق الإمبراطور بعد موسم الإخصاب وكتب قائلاً: "تهب الريح شديدة لا تعرف الهوادة، لسرعة تتراوح ما بين ١٠٠ و ١٥٠ في الساعة، ويحد الإعصار المصاحب لها من الرؤية فلا تتجاوز متراً واحداً، مع ما يذره من شظايا الجليد الصغيرة ويجد المرء صعوبة في التنفس، ويعجز عن القيام بجهد ما، يغشى عينيه ستار من الجليد في لحظة.. في هذه الظروف القاسية، تقف بيضة الإمبراطور". كما سجل عالم آخر في مذكراته قائلاً: "لم نكن نعلم أننا نصبنا مخيمنا بالقرب من مرعى بطريق الإمبراطور عندما وصل اثنان منهما لحق بهما الثالث الذي حياهم بأن أحنى رأسه على صدره، ورد الآخرا على تحيته بأحسن منها. ثم بعد أسبوعين تجمع حوالي ١١٠٠ إمبراطور، حيث كانت تصل بمعدل ٤٠٠ إمبراطور في اليوم، نازحة من الشمال والشمال الغربي مجتازة الجليد في

صفوف طويلة كصفوف الجندي. وهنا يبدأ التعارف بين الذكر والأنثى استعداداً للزواج وإنجاب الأطفال، وهي ليست مهمة هينة كما قد يتبادر إلى الذهن، ذلك أنه يقف الواحد ذكراً كان أو أنثى شارعاً منقاراً، أو منقارها نحو السماء مصغياً السمع لعل صوتاً يأتي من بعيد. ثم بعد مدة يقوم البطريق بذلك جناحيه بمنقاره، وهو داساً رأسه في صدره، ثم يأخذ نفساً طويلاً، ويبدأ في الترنم بأنشودة حبه. وهي أنشودة موزونة (مقفاه!) ومعقدة تنتهي بنغمة طويلة. وما أن تنتهي هذه الأنشودة حتى يمد عنقه مرة أخرى شاخصاً بمنقاره نحو السماء وتكرر الأناشيد، وتختلف أنشودة الأنثى عن أنشودة الذكر اختلافاً بيناً. وما إن يتألف اثنان من بين المئات من الذكور والإناث، بعد كل هذه الشعائر وترانيم الغزل، حتى يعيداً تكرر هذه الأناشيد، ولكن بين الاثني هذه المرة. وعندما يتم الإتفاق والتوافق بينهما تبدأ مراسم الخطوبة والزواج".

وعلق عالم آخر على هذه الشعائر قائلاً: "عندما نتخيل أن هذه الشعيرة تؤديها المئات بل الآلاف من البطاريق.. تتكون لدينا فكرة عن الباليه الغريب والفريد الذي كان يقع دائماً في تلك الفترة!".

تضع أنثى الإمبراطور بيضة واحدة فيما بين ٥ و ٢٠ مايو، في أحلك ساعات الليل، ليل القارة القطبية الشديدة البرودة، ما أن تضعها حتى يتلقفها الذكر فوق قدميه ثم يدسها بين ثنايا الشحم الثقيلة أسفل بطنه حيث الدفء. ويبلغ وزن البيضة حوالي ٤٠٠ غرام، وطولها ١٣ سم. في هذه الأثناء تغادر الأنثى إلى البحر، ولا تعود قبل شهر يوليو في عز الشتاء. وعملية تسليم البيضة للذكر تصاحبها طقوس إمبراطورية!، تحمل الكثير من مشاعر الود والحنان بين الأنثى والذكر، ربما تفوق تلك التي بين الرجل والمرأة من بني البشر!، كما تتردد فيها الكثير من الأناشيد والأغاني وفروض الإحترام.

تصل فترة التفريخ إلى ٦٥ يوماً، في هذه الأثناء يعتني الذكر بالبيضة عنقاة فائقة وسط البرودة الشديدة، حيث يتجمع الذكور جميعاً في كتل واحد مترصين ومتلاصقين طلباً للدفع. وقد تصل درجة الحرارة إلى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر وسط رياح عاتية تبلغ سرعتها حوالي ٢٠٠ كم في الساعة. يفقد خلال هذه الفترة الذكر حوالي ٤٠٪ من وزنه. إذ أنه ما يتزوج ما بين ثلاثة إلى أربعة شهور لم يصب الذكر خلالها طعاماً.

ينسى الإمبراطور جوعه وهو يسمع صراخ وليده في بيضته، وبعد يومين من الصراخ يخرج الفرخ من البيضة وتحدث الضوضاء ويرتفع الصراخ بين أطفال الأباطرة، ويدب الفرخ بين الجميع، حيث يحتضن كل والد ولده فرح بهن أما أولئك الأباطرة الذين لم ينجبوا، فإنهم يدوسون على كرامتهم، ويتخلون عن وقارهم ويطاردون أفراخ غيرهم ليخطفوها ويخفوها تحت بطونهم!!

تعود الأمهات في الفترة التي يفقس فيها البيض، سبحان من ألهمها التوقيت وطريق العودة، أما البحث عن أزواجها وأطفالها فهي مشكلة المشاكل هنا، حيث يختلط الحابل بالنابل، ويستغرق البحث يوماً كاملاً وسط الظلام الدامس، بحيث تقف الأنثى وسط مجموعة من الذكور وتغني فتره عليها الذكور بأغان تميز فيها الأنثى أغنية زوجها، فإذا عرفتها انطلقت إليه، وإذا لم تجده تذهب إلى مجموعة أخرى حيث تُعيد مراسم النشيد الإمبراطوري!

وصف أحد العلماء هذه المشاهد قائلاً: "يسود الهرج والمرج في المربي في هذه الأوقات وتكاد أصوات الغناء وترديد الأغاني تصم الأذان".

في هذه الأثناء يتم الإستلام والتسليم، ويغادر الذكر في رحلة تستغرق أياماً عدة لتناول الغذاء من صيد البحر.

من ثلاثة إلى خمسة أسابيع يبدأ الصغير في النمو تدريجياً من خلال الطعام الذي تلقمه إياه أمه، ثم تبدأ بعد ذلك المسئولية المشتركة في تغذية الواليد ورعايته بين الذكر والأنثى، إلا أن نسبة الوفاة بين الصغار تكون عالية، وقد تصل إلى ٦٠٪ من المجموع العام.

ما بين ديسمبر ويناير من السنة التالية، يبدأ الصغير في طرح الزغب من على جسمه الذي يكتسي بالريش بعد ذلك، ولكن يبقى الصغير في نصف وزن والديه تقريباً. تذكرت قصة تبادل المرأة والرجل في السويد مسئولية حضانة الصغير التي أقرها القانون عندهم، ولقد أوردت هذه القصة في كتابي "إلى سقف العالم" .. ولكن هل تعلم السويديون هذا المسلك من البطريق؟!

تلك كانت قصة الإمبراطور البطريق ورعيته في تلك المملكة القصية من العالم، مملكة شاسعة يحكمها ملوك وأباطرة، وتعيش فيها الملايين من الرعية.. ولكنها جميعاً طيور لا تطير!.. فلا عجب إذن أن يُطلق الكثير من المستكشفين على قارة أنتاركتيكا اسم "مملكة البطريق". قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (١)

### صدق الله العظيم

إنتهت زيارتنا إلى إحدى ممالك البطريق، ويتكون وجهتنا التالية إلى حيث يعيش ويقوم بشر مثلنا، ولكنهم دخلاء على مملكة البطريق.. زيارتنا القادمة ستكون إلى القاعدة الأرجنتينية في القارة نفسها، فنحن زعم هذه الجولات لم نلمس أرض القارة بعد، وكل جولاتنا تلك كانت لجزر تابعة لها.

وإلى أن نصل إلى القاعدة الأرجنتينية، سوف أحدثكم عن الإستكشافات الأولى للقارة.. فإن فيها قصص جديدة بأن ترى!